

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[551] وقوله تعالى: (أنتم عنه معرضون) ما زال صادقاً حتّى يومنا الحاضر، فإعراض

المسلمين عنه تسبّب في عدم ارتوائهم من هذا المنبع العذب الذي يطفح بالفيض الإلهي الكامل، وإلى عدم التقدّم على الآخرين بالاستفادة من أنواره المشعّة، وإلى عدم الرقي إلى قمم الفخر والشرف. ثمّ تقول الآية، مقدّمةً لسرد قصّة خلق آدم، والمكانة الرفيعة التي يحتلّها الإنسان الذي سجدت له كافّة الملائكة: (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون). أي لا علم لي بالمناقشات التي دارت بين الملأ الأعلى وملائكة العالم العلوي بخصوص خلق الإنسان، حيث أنّ العلم يأتي عن طريق الوحي، والشئ الوحيد الذي يوحى إليّ هو أنّني نذير مبين (إن يوحى إليّ إلاّ أنّما أنا نذير مبين). ورغم أنّ الملائكة لم تناقش وتجادل الباري عزّ وجلّ، ولكنّ ذلك المقدار من الكلام الذي قالوه عندما أخبرهم الباري عزّ وجلّ بأنّه سيجعل في الأرض خليفة، فقالوا: أتخلق فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ فأجابهم قائلاً: إنّني أعلم ما لا تعلمون: (وإذ قال ربّك للملائكة إنّني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنّني أعلم ما لا تعلمون)، (1) مثل هذا النقاش أطلق عليه اسم (التخاصم) وهي تسمية مجازية، وقد كانت هذه مقدّمة للآيات التالية التي تتحدّث عن خلق آدم. وثمّة احتمال وارد أيضاً هو أنّ عبارة (الملأ الأعلى) لها مفهوم أوسع يشمل حتّى الشيطان، لأنّ الشيطان كان حينئذ في زمرة الملائكة، ونتيجة تخاصمه مع الباري عزّ وجلّ وإعتراضه على إرادة القرآن طرد إلى الأبد من رحمة القرآن. وقد وردت روايات متعدّدة في كتب الشيعة والسنة بهذا الخصوص؛ جاء في إحداها أنّ رسول القرآن (صلى الله عليه وآله وسلم) سأل أحد أصحابه: "أتدري فيما يختصم الملأ الأعلى؟" _____ 1 - البقرة، 30.